الفصول المهمة

في معرفة الأئمة

ابن الصباغ، علي بن محمّد، ٧٨٤ ـ ٨٥٥ ق.
الفصول المهمّة في معرفة الأئمة / تأليف على بن محمّد أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ؛ تحقيق و تعليق سامى الغريري ـ قم: دارالحديث، ١٣٧٩.
٢ ج.
المصادر بالهامش.
ISBN : 964 - 5985 - 99 - 4
١. أئمة اثنى عشر عليهم السلام. ٢. علي‌بن أبي طالب عليه السلام، الامام، ٢٣ قبل الهجرة ـ ٤٠ ق. الف. الغريرى، سامي، ١٣٧٤ ق ـ محقق. ب. عنوان.
٦ ف ٢ الف / ٣٦ BP ٢٩٧/٩٥
شابک: ٤ - ٩٩ - ٥٩٨٥ - ٩٦٤

الفصول المهمّة

في معرفة الأئمّة ـ ج ١

المؤلّف:	علي‌بن محمّد بن أحمد المالكي المكي
التحقيق:	سامى الغريري
نضدالحروف:	فخرالدّين جليلوند، محمّد باقر النجفي
الناشر:	دارالحديث
الطبعة:	الأُولى، ١٤٢٢
المطبعة:	سُرور
النسخ:	١٥٠٠ دوره
ثمن الدورة:	٤٨٠٠ تومان

دارالحديث للطباعة و النشر ـ قم ـ شارع آيةالله المرعشي النجفي ـ قرب ساحة الشهداء
الهاتف: ٧٧٤١٦٥٠، ٧٧٤٠٥٢٣ ـ ٠٢٥١ ص. ب ٣٧١٨٥/٤٤٦٨
عنوان الانترنت http//www.hadith.net/mizan البريد الالكتروني hadith @ hadith.net

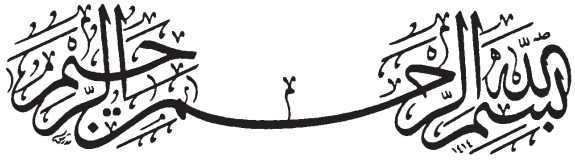
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

مقدّمة الناشر ٧

مقدّمة التحقيق ٩

ترجمة المؤلّف ١٥

ممّن اشتهر بابن الصبّاغ ١٦

مكانته العلمية ١٧

شيوخه ٢٠

تلاميذه الآخذون منه والراوون عنه ٢١

آثاره العلمية ٢١

شهرة الكتاب ٢٤

مصادر الكتاب ٢٥

رواة الأحاديث من الصحابة ٣٨

مشاهير المحدِّثين ٤٦

مخطوطات الكتاب ٥٤

طبعاته ٥٧

منهج العمل في الكتاب ٥٨

شكر و تقدير ٦٠

مقدّمة المؤلّف ٧١

[مَن هم أهل البيت ؟] ١١٣

في المباهلة ١١٣

تنبيه علىٰ ذكر شيءٍ ممّا جاء في فضلهم وفضل محبّتهم عليهم السلام ١٤١

الفصل الأوّل : في ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ١٦٣

فصل : في ذكر اُمّ عليٍّ كرّم الله وجهه ١٧٧

فصل : في تربية النبيّ صلى الله عليه وآله له عليه السلام ١٨١

فصل : في ذكر شيءٍ من علومه عليه السلام ١٩٥

فصل : في محبّة الله ورسوله صلى الله عليه وآله له عليه السلام ٢٠٧

فصل : في مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وآله له عليه السلام ٢١٩

فصل : في ذكر شيءٍ من شجاعته عليه السلام ٢٨١

فـائـدة ٥٣٣

فصل : في ذكر شيءٍ من كلماته الرائعة ٥٣٧

فصل : أيضاً في ذكر شيء من كلماته ٥٤٩

فصل : في ذكر شيءٍ يسير من بديع نظمه ومحاسن كلامه عليه السلام ٥٦١

فصل : في ذكر مناقبه الحسنة عليه السلام ٥٦٧

فصل : في صفته الجميلة وأوصافه الجليلة عليه السلام ٥٩٧

فصل : في ذكر كنيته ولقبه وغير ذلك ممّا يتصل به عليه السلام ٦٠٥

فصل : في مقتله ومدّة عمره وخلافته عليه السلام ٦٠٩

فصل : في ذكر أولاده عليه وعليهم السلام ٦٤١

فصل : في ذكر البتول ٦٤٩

مقدّمة الناشر

يُعتبر عليّ بن أحمد بن عبدالله المكي المالكي، المشهور بابن الصبّاغ (٧٨٤ـ٨٥٥ ق) من أكابر علماء المسلمين، وأبرز أعلام المذهب المالكي في النصف الأوّل من القرن التاسع للهجرة. وكان جامعاً لعلوم وفنون شتّىٰ خاصّة: علوم اللغة العربية، وأُصول الفقه، وعلوم القرآن، والحديث، والتاريخ.

كان﵀ يتميّز بقدرة فائقة في التأليف والتدوين، وقد خلّف آثاراً ومؤلفاتٍ قيّمةً خاصةً في ميداني التاريخ والحديث، وبقيت كتبه ولا زالت حتّىٰ الآن مَعِيناً ينهل منه العلماء والمحدّثون.

كان متمسّكاً بأهل بيت الرسولﷺ، وكان كيانه طافيً بنور محبّة أمير المؤمنينؑ والأئمّة المعصومينؑ. وقد أفرد بعضاً من مؤلّفاته لذكر مناقبهم وفضائلهم وسيرتهم. نُشير إلى جملةٍ منها:

١. ***الفصول المهمة في معرفة الأئمّة***ؑ،

٢. ***تحرير النقول في مناقب أُمّنا حواء وفاطمة البتول***ؑ،

٣. ***قصائد في مدح أمير المؤمنين***ؑ.

يحظىٰ كتاب ***الفصول المهمة في معرفة الأئمّة***ؑ بأهمّيّة خاصّة واعتبار

مضاعف؛ إذ أنّه يتّسم بجودة المضمون ورصانة الأُسلوب ودقّة الضبط والتحقيق، إضافة إلى حسن التنظيم والتبويب، بحيث أصبح موضع تأييد من جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، واتُّخِذَ كمصدرٍ موثّق في التراث الإسلامي.

جاء تأليف هذا الكتاب بناءً على طلب بعض أصدقائه، وقد رتّبه في اثني عشر باباً، في كلّ باب ثلاثة فصول، وخصّص كلّ فصل منها لذكر مناقب وفضائل كلّ واحد من الأئمّة الاثني عشر، مع نبذة عن سيرته وتاريخ ولادته واستشهاده. فلله درّه وعليه أجره.

ونظراً إلى تسمية العام الهجري الشمسي يمرّ علينا باسم «عام الإمام عليّ عليه السلام» من قبل قائد الجمهورية الإسلامية ـ حفظه الله ورعاه ـ، يسرّ مركز نشر دار الحديث أن يقدّم هذا السفر الخالد إلىٰ أبناء الأُمّة الإسلامية، وخاصة إلىٰ محبّي وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام. عسى الله أن يشملنا وإيّاهم بشفاعة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

ولا يسعنا هنا إلّا أن نعرب عن فائق الشكر والتقدير للأستاذ سامي الغَريريّ، الذي بذل جهداً لا يستهان في تنقيح هذا الكتاب والتعليق عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مركز نشر دار الحديث

مقدّمة المحقِّق

الحمدُ لله الّذي أضاء قلوب أوليائه بنوره فانكشف لهم به أسرار الوجود، ورشح عليهم من بحر المعارف والعلوم وسقاهم بكأس المحبّة فانشرح به صدورهم، فخرجوا بما منحهم من إفاضاتة من مضيق عالم الطبيعة وظلمات علائق القيود إلى عالم السعة والنور والسرور.

والصلاة والسلام علىٰ نبيِّه وصفيِّه ومستودع سرِّه، أوّل الموجودات ومصباح الهداة، وعلىٰ آله وأهل بيته معادن الإحسان والجود، ولاسيّما ابن عمِّه ووصيِّه أمير المؤمنين عليه السلام، الّذي جعله الله تعالى بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله، صلاةً دائمةً باقيةً ماظهرت أسرار الوجود عن خبايا العدم، متلاحقةً متتاليةً لا تكتمل بالعمم.

أمّا بعد، فإنّ أحقَّ الفضائل وأولاها وأزهر العقائل وأسناها هو العلم الّذي يتضاءل عنده رأسُ كلِّ عزٍّ وفخر، ويتطأطأ عند عظمته تليع عنق الدهر، ويضمحلّ في حذائه كلُّ نورٍ وينكسف، وينمحي في إزائه كلُّ ضياءٍ وينخسف، فلا مجد إلّا وهو ذروته وسنامه، ولا شرف إلّا وهو يمينه وحسامه، ولا المسك الأذفر والعنبر الأشهب بأطيب منه وأذكى، بيد أنّ له أفانين وفنون، وعساليج[1] وغصون، وإنّ من

---

(١) عساليج: ما لان من قضبان الشجر.

أجلّ العلوم شأناً وأعلاها مكاناً وأرجحها ميزاناً وأكملها تبياناً علم الحديث.

فله مِن بينها الرتبة الأعلىٰ، والمنزلة القصوىٰ، وكفىٰ له علوّاً وامتيازاً، وسموّاً واعتزازاً، أنّه يرىٰ منازل كانت مهبط جبرئيل، ويعرّف وجوهاً نطق في ثنائهم الكتاب الجميل، ويوصل إلى مربعٍ محفوف بالتقديس والتهليل، وينظم في عقدٍ منظومٍ مِن جواهر معادن الوحي والتنزيل، ويشدّ بحبلٍ ممدودٍ يصل إلى الله الجليل.

ولمّا كان كمال الإيمان بمعرفة أئمّة الأزمان بمنطوق شريف القرآن وجب صرف الهمّة في كلِّ أوان، لوجوب الاستمرار على الإيمان في كلِّ آن.

ولهذا اهتمّ بشأنه العلماء، وأتعبوا أبدانهم، وأسهروا أجفانهم، وتجرّعوا لنيله غُصص النوىٰ، وباتوا وفي أحشائهم تتّقد نار الجوىٰ، وخاضوا لأجله لجج الدماء، وجزعوا المنفق البيداء، حتّى فازوا بالمراد، وأصبحوا زعماء البلاد، ومناهج الرشاد، وهداة العباد.

وقد صنّف علماؤنا رضوان الله عليهم في ذلك كتباً مقرّرة، وألّف فضلاؤنا في الردِّ علىٰ مخالفيهم أقوالاً محرَّرة، وأجالوا في الحقائق والدقائق خواطرهم، وأحالوا عن العلائق والعوائق نواظرهم، ونصبوا في ذلك رايات المعقول والمسموع، وأوضحوا آيات المستنبط المطبوع، غير حائدين[1] عن رواية الصدق المبين، وغير مائلين عن رعاية الحقّ اليقين، فيستضيء المتعرّف بأنوار مصنّفاتهم، ويرتدي المتحرّف بأسرار بيِّناتهم.

وكيف لا تصرف العناية إلى قومٍ هم الأحبار الأشمّ والأبحار الخضمّ، أحد السببين اللّذين من اعتلق بهما فاز قداحه، وثاني الثقلين اللّذين من تعلَّق بهما اسفرّ من جميل السُّرى[2] صباحه، ولا يتُهم نجاةٌ في الأُولى والعقبىٰ، ومودَّتهم واجبةٌ ﴿قُل

---

(١) حاد عنه ـ من باب نصر ـ: مال وأعرض.

(٢) السير بالليل.

﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١]، فما من شرفٍ تمتدّ إليه الأبصار، ولا من طرفٍ يرتفع لديه اقتباس الأقدار ولا باب تعظم فيه الأخطار ولا لبابٍ تقحم به الآثار إلّا وقد جازته قادات الأطهار وحازته سادات الأبرار، مع سعي المعاندين في إطفاء نورهم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[٢]، وبغي الجاحدين في تطريدهم وتشتيت قبورهم، ويُريد الله أن يظهر حجّته ومزبوره، فهل قُدّم عليهم إلّا من سمل[٣] عين الإيمان؟ وهل تقدّمهم إلّا من شمل قلبه الطغيان، وقد ضاءت مدائحهم ومنائحهم في كتاب ربِّ العالمين، وجاءت لأعدائهم قبائحهم وفضائحهم ظاهرة للناظرين.

في طوايا التاريخ على امتداده يجد الباحث والمتتبّع رجالاً وعباقرةً غيَّروا مسير التاريخ بعلمهم وفنِّهم، واقتادوا الشعوب إلى شواطئ المجد والخلود، وجداول الحقّ والواقع، وأوقفوهم على المهيع القويم والصراط المستقيم.

نستوقف علىٰ نفر من ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[٤]، ويدفعون الأُمّة إلى قمّة الإنسانية والتكامل، وفي أيديهم قبسٌ من تلك الحرائق الّتي يشعلها الأنبياء أضواء هداية على الطرق، وزيتها من دمهم الّذي يتوهّج زيتاً، لا أكرم في الزيوت ولا أضوأ في الإنارة، ويقودون الأشرعة التائهة في اليمّ، والقافلة الضالة الحائرة في البيداء، إلى موانئ السلامة وسواء السبيل والهداية.

يجد الباحث ببطن التاريخ صِوَر الّذين كانوا على امتداد التاريخ في الشموخ مشاعل وهّاجة، ومنارات شاهقة، حادوا قافلة الجهاد الفكري في ظروف قاسية في الأسار، وقبضة الإرهاب والبطش الّتي كانت تلاحق كلّ من همس بإيمانه،

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) سمل عينه ـ من باب نصر ـ: قلعها.

(٤) الأحزاب: ٣٩.

ناهيك عن الهتاف بعقيدته، وإعلانها علىٰ رؤوس الأشهاد.

في ظروف حالكة وعهود قائمة والسلطة الحاكمة فيها قيد في الأيدي، وعلى الأفواه والسجون والمنافي جعلت بيوتاً ومأوى للفقهاء والعلماء والشعراء، برغم هذا التعسّف كلّه يعمل نفر منهم جاهداً لإبادة الجهل والكفر والباطل، وإزاحة الكابوس اللاعقائدي الّذي يهدف بمساندة أذنابه وعملائه إغراء الشعب، ودفعه إلى أحضان الجهل والفساد، وتفريق صفوفه وتمزيق شمله، وفساد نظام مجتمعه، وفصم عرى الأُخوّة الإسلامية، وإثارة الأحقاد الخامدة، وحشّ نيران الضغائن في نفوس الشعب الإسلامي، ونفخ جمرة البغضاء والعداء المحتدم بين فرق المسلمين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1].

أجل، لم تثن السجون والشهادة والتشريد وضرب السياط وإلصاق التهم عزائم قادة الدين الصحيح، ولم تردعهم عن رسالتهم الصادقة، وإنّما شقّوا عباب تلكم الظروف القاسية بالصبر والمثابرة والجهاد والمقاومة والبذل والمفاداة، وحملوا راية المقاومة علىٰ جبهة الفكر الكريمة، وحملوها عالية، وإن سقطت واستشهدت دونها العشرات الفطاحل، وهم بين فقيهٍ ومجتهد، وعالمٍ ومؤلّف، وأديبٍ وشاعر، فبلّغوا وأدّوا رسالتهم، وحكوا كلَّ شيءٍ لمن ألقى السمع وهو شهيد.

لقد استحوذ الحقُّ، وتغلّب الواقع علىٰ هؤلاء العباقرة منذ نعومة أظفارهم، وحلّت الهداية الإلهية في قلوبهم، فرأوا أزهار الجهل والفساد الّتي كانت تنبت بكلِّ مكان تتحوّل إلى أظافر وأنياب في لحومهم، وفي جسم الشريعة الإسلامية، فثاروا في سبيل الحقّ، ونهضوا في الذبِّ عن الحقيقة.

والواقع أنّ الشعوب مدينة لهؤلاء المجاهدين المبدعين والأعلام النابهين، الّذين كانوا في كلِّ دورٍ وعهدٍ مصدر المعرفة الإنسانية في آفاقها الّتي لا تحدّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) يونس: ٥٧.

قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

يمكن القول هذا بصراحة: إنّ ابن الصبّاغ المالكي يعتبر في الطليعة من المجاهدين الّذين حفظوا التراث الإسلامي والسنّة النبوية، وخالطت آثاره حياة الأُمّة، وكانت كالنقش علىٰ حجر وظلّت في أعماق روحها كما يتذكّر الإنسان حبّه الطفلي الأوّل، كان اسمه وأثره دائماً في قلوبنا رمزاً لهذا النوع المتميِّز من البشر، الّذين استطاعوا أن يجسِّدوا في كلامٍ موجز وبحثٍ قليل، أجمل وأنبل ما يمكن أن تجود به النفس الإنسانية من مشاعر في حبّ الحقّ والدفاع عنه والدعوة إليه.

هذا بالإضافة إلى حيوية أُسلوبه وبيانه الّذي لا يزال رطباً غضّاً، كأنّه لم يكتبه منذ قرون بل كأنّه كتبه في هذه الأيّام والساعات، لأنّه لا يزال قرعه للأسماع شديداً، ووقعه في النفوس بليغاً، مع أنّه مضى عليه قرون، سلفت فيها أُممٌ، وتعاقبت شعوبٌ ودول، وتغيَّرت ظروفٌ وأحوال، ولكن أُسلوبه الرصين الخالد الّذي استعمله لخدمة دينه وأُمّته وبني قومه لم يتبدّل ولم يتغيّر، لأنّه استمدّه من روحه وقلبه، ومن فكره وإخلاصه، وعقله المستخمر بحبِّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة الهداة من ولده عليهم السلام.

حقّاً أنّ نور الدين في أُسلوبه وبيانه الممتنع الجزل المفيد الوجيز لَيعكس في أذهاننا جميع عباراته، بيراعه الخالد الّذي لا يُنسى وقعه ولا يُمحى أثره.

ولنعم ما قيل:

إنْ كنتَ من شيعة الهادي أبي حسن ... حقّاً فأعدد لريب الدهر تجنافا

إنّ البلاءَ نصيبُ كلّ شيعته ... فاصبر ولا تكُ عند الهمّ منصافا

وهذا المعنىٰ مأخوذٌ من قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: مَن أحبَّنا أهل البيت

---

(١) فصّلت: ٣٠.

فليستعدّ عدّةً للبلاء[١] وفي رواية: فليستعدّ للفقر جلباباً[٢]. وقد ثبت أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ عليه السلام: لا يُحبّك إلّا مؤمنٌ ولا يُبغضك إلّا منافق[٣]، وثبت أيضاً أنّه ﷺ قال: إنّ البلوى أسرع إلى المؤمن من الماء إلى الحدود[٤].

ولم يكن المترجَم له إنساناً مغموراً حتّى يحتاج إلى التعريف والإشادة بمآثره، بل هو طودٌ شامخ وعلمٌ معروف، انتشرت آثاره العلمية في المكتبات الإسلامية، وعُرفت مآثره الدينية في الأوساط العلمية.

إنّه حيٌّ تتجدّد ذكراه علىٰ مرِّ العصور والدهور.

نعم، سيبقى حيَّ الذكر أُولئك الّذين أدركوا مغزى خلقتهم للحياة لا للفناء، واتّجهوا بكنه وجودهم إلى الحيِّ القيُّوم، واستضاؤوا في مسيرتهم العلمية بأنوار الأنبياء، وجعلوا سيرة أولياء الحقّ دستورهم المتّبع، هؤلاء سيبقىٰ ذكرهم حيّاً خالداً، ولا يجد الفناء إليهم سبيلاً.

وليس المترجَم له ممّن يتباهى به أهل مذهبه فقط، بل يتباهى به المسلمون كافّة، لما أحسّوا فيه من الشخصية المسهمة في إعلاء كلمة الله تعالى، وبذل الجهد لنشر الأُسس الإسلامية المتينة، كما تشهد بذلك كتبه القيّمة، فجزاه الله عن الإسلام خير جزاء المحسنين.

وبما أنّه قد تُرجمت شخصية المؤلِّف في معظم كتبه ومؤلّفاته ـ الّتي رأت النور حديثاً ـ ترجمةً وافيةً وغزيرة وفي معظم كتب العلماء الأعلام ارتأينا أن نتناول نبذةً وجيزةً عن حياته الشريفة.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٤/ ٣٣٦.

(٢) نهج البلاغة (صبحي الصالح): الحكمة ١١٢.

(٣) الغدير: ٣/ ١٨٣.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٤/ ٢٨٩.

ترجمة المؤلّف

كلُّ مَن ذكره مِن أرباب معاجم التراجم أثنىٰ عليه ثناءً جميلاً، ووصفه بالفضل والفقه والحديث والأدب، وأنّه من الأكابر.

فقد ترجم له تلميذه شمس الدين محمّد بن عبدالرحمن السخاوي في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» وعدَّد شيوخه، وأشار إلى مؤلّفاته، قائلاً: عليُّ بن محمّد بن أحمد بن عبدالله نور الدين الأسفاقسي الغزّيّ الأصل المكّيّ المالكي، ويُعرف بـ«ابن الصبّاغ». ولد في العشر الأوّل من ذي الحجَّة سنة أربع وثمانين وسبعمائة بمكّة ونشأ بها، فحفظ القرآن، والرسالة في الفقه، وألفية ابن مالك، وعرضهما علىٰ: الشريف عبدالرحمن الفاسي، وعبدالوهّاب بن العفيف اليافعي، والجمال بن ظهيرة، وقريبه أبي السعود، وسعد النووي، وعليّ بن محمّد بن أبي بكر الشيبي، ومحمّد بن سليمان بن أبي بكر البكري. وأجازوا له، وأخذ الفقه عن أوّلهم، والنحو عن الجَلال عبد الواحد المرشدي، وسمع على الزين المراغي سداسيات الرازي، وكتب الخطّ الحسن، وباشر الشهادة مع إسراف علىٰ نفسه، لكنّه كان ساكناً، مع القول بأنه تاب.

وله مؤلّفات، منها: الفصول المهمّة لمعرفة الأئمّة ـ وهما اثنا عشر ـ، والعِبر فيمن شفّه النظر، وتحرير النقول في مناقب أُمِّنا حوّاء وفاطمة البتول[1] أجاز لي.

ومات في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وثمانمائه، ودُفن بالمعلّاة سامحه الله وإيّانا[2].

وترجم له الزركلي في «الأعلام» بقوله: ابن الصبّاغ (٧٨٤ ـ ٨٥٥ هـ) (١٣٨٣ ـ ١٤٥١ م) عليّ بن محمّد بن أحمد نور الدين ابن الصبّاغ، فقيه مالكي،

---

(١) نسخة منه في دار الكتب الوطنية في باريس رقم (١٩٢٧).

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٥ / ٢٨٣ طبع مصر.

من أهل مكّة مولداً ووفاةً، أصله من سفاقس، له كتب منها: الفصول المهمَّة لمعرفة الأئمّة مطبوع، والعِبر فيمن شفّه النظر، قال السخاوي: أجاز لي[١].

وترجم له ابن زبارة في «نشر العرف» ترجمةً مطوَّلة، وقال فيها: هو من بيت علم شهير بصعدة، مؤلّفاته تزيد على الخمسين. ثمّ عدَّد مؤلّفاته، وذكر له هذا الكتاب، وكتابه «العقود اللؤلؤية واللآلئ الثمينة في فضائل العترة الأمينة»[٢].

وترجم له مولانا محمّد إعجاز حسن ابن مولانا محمّد جعفر حسن الباكستاني المتوفّى سنة (١٣٥٠ هـ)، صاحب المصنّفات الكثيرة، إلى اللغة الأُردية[٣].

وترجم له إسماعيل باشا في «هديَّة العارفين» وعدَّد تصانيفه الكثيرة، وذكر منها ما ذكرناه[٤].

وترجم له جشي في «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» وذكر له «قصائد في مدح أمير المؤمنين عليه السلام» وأنّ مخطوطتها في المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء رقم (٨) مجاميع[٥].

ممّن اشتهر بابن الصبّاغ:

وقد يُطلق ابن الصبّاغ أيضاً على أبي نصر عبد السيّد بن محمّد بن عبدالواحد، الفقيه الشافعي، المدرِّس بالمدرسة النظامية ببغداد، وكان ثقةً حجّةً صالحاً، توفّي ببغداد سنة (٤٧٧ هـ)[٦].

---

(١) أعلام الزركلي: ٥ / ٨.

(٢) نشر العرف: ٢ / ٤١٢ ـ ٤٢٧.

(٣) ذكرها له السيّد مرتضى حسين صدر الأفاضل في ترجمته من «مطلع الأنوار»: ٤٨٣، والسيّد حسين عارف نقوي في ترجمته في كتاب «تذكره علماي إمامية باكستان»: ٢٨٨.

(٤) هدية العارفين: ٢ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٥) مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ٢٩٥ و ٤٣٨.

(٦) الكنى والألقاب: ٣٢٤.

وممَّن اشتهر بهذه الكنية أيضاً عليّ بن عبد الحميد بن إسماعيل الزاهد العارف الكبير أبو الحسن، توفّي بقنا من صعيد مصر سنة (٦١٢ هـ)، ودُفن برباطه، لقي المشايخ والصالحين، وانتفع به جماعة، وعنه أخذ مشايخ إقليم الصعيد قرأ القرآن على الفقيه ناشي، وسمع من الشيخ أبي عبدالله محمّد بن عمر القرطبي، كذا ذكره الصفدي[١].

أمّا ما ذكره العلّامة الخونساري في «روضاته»[٢] بأنّ اسم ابن الصبّاغ ـ المترجم له ـ هو صالح بن عبدالله بن جعفر الأسدي الكوفي، ولقبه مُحي الدّين، كما ذكره المحدِّث النيسابوري؛ فهو مجرّدٌ من كلِّ دليلٍ مقبول، وخلاف ما جاء في ترجمته في كتب الرجال المعتبرة عند الفريقين، لاسيّما كتب المالكية.

وله ترجمةفي «هديةالعارفين»[٣] لإسماعيلباشا و«معجم المؤلّفين»[٤] لعمر رضا كحّالة، وكلُّ مَنْ ترجم له ذكر له كتابه «الفصول المهمَّة».

مكانته العلمية:

لا أحسب في خلال عمر ابن الصبّاغ المالكي توجد لحظة أو فترة ذهبت سدى، أو راحت ولم يترك فيها أثراً فكريّاً أو خطوة علمية، لذلك لو عدّدنا أوراق تآليفه وتتبّعنا صفحات مصنّفاته وجدناها تربو بكثير على أيّام عمره وساعاته الحافلة بالجهاد العلمي الّذي ترتسم علىٰ كلِّ أُفقٍ من آفاق هذا العالم الإسلامي. فكان من الرجال المعدودين الّذين امتازوا في التاريخ الإسلامي بمواهب وعبقريات دفعتهم

---

(١) راجع ترجمته في: جامع كرامات الأولياء: ٢/ ١٦٢، والنجوم الزاهرة: ٦/ ٢١٥، والطالع السعيد: ٣٨٣، ودول الإسلام: ٢/ ٨٧، وشذرات الذهب: ٥/ ٥٢، ومرآة الجنّات: ٤/ ٢٤، والعبر: ٥/ ٤٢، وحسن المحاضرة: ١/ ٢٣٧.

(٢) روضات الجنّات: ٥/ ٢٥٩.

(٣) هدية العارفين: ١/ ٧٣٢.

(٤) معجم المؤلّفين: ٧/ ١٨٧.

إلى الأوج الأعلىٰ والقمّة الشاهقة من آفاقهم، فإذا أسماؤهم ومآثرهم كالشهب الوهّاجة تتلألأ في كبد السماء مادامت الحياة.

وقليل الّذين ترتسم أسماؤهم في كلِّ أُفق من تلكمُ الآفاق، وتستنير مآثرهم مدى الحياة، إلّا أُولئك الأفذاذ الّذين ارتفعت بهم الطبيعة، فكان لهم من نبوغهم النادر وشأنهم العظيم ما يجعلهم أفذاذاً في دنيا الفكر الإسلامي كلّها، ومنهم الشيخ المؤلّف، فقد شاءت المنحة الإلهية والإرادة الربّانية أنْ تبارك عمله ويراعه وبيانه، فتخرج منهم للأجيال والشعوب نتاجاً فكرياً من أفضل النتاج، وغذاءً معنوياً تتغلّب به على التيّارات السامّة الوافدة عليها من خارج الوطن الإسلامي، وما تحيكه أذناب الجهل والعمالة داخل الوطن من انحراف مسير المسلمين واتجاهاتهم البنّاءة الهادفة إلى توحيد الكلمة وكلمة التوحيد.

وقد لا أكون مبالغاً ولا متعصّباً ولامنحازاً حين أُطلق العنان للقلم فيسجّل: أنّ ابن الصبّاغ يتقدّم بما أنتجه وكتبه وصنّفه إلى الطليعة من علماء المالكية ورجالاتها الّذين كرّسوا حياتهم طول أعمارهم لخدمة الحقّ والواقع، وبهذا استحقّ أن يتصدّر مجلس المالكية في العالم الإسلامي الحاضر، وحتّى في عصوره المقبلة.

لقد منح ـ المترجَم له ـ لكلِّ لحظة من لحظات حياته حساباً خاصّاً، ومسؤوليةً هامّة يتساءل عنها ويحاسب عليها، فبنىٰ حياته علىٰ قول الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول: «والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب، فانتهزوا فرص الخير»[1]. ومنه أخذ ابن المقفّع عبدالله، فقال: انتهز الفرصة في إحراز المآثر، واغتنم الإمكان باصطناع الخير، ولا تنتظر مايعامل فتجازى عنه مثله، فإنّك إن عوملت بمكروهٍ واشتغلت ترصد أوان المكافأة عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدة وافتناء منقبة، وتصرّمت أيّامك بين تعدٍّ عليك وانتظارٍ للظفر بإدراك الثأر من

(١) نهج البلاغة (صبحي الصالح): الحكمة ٢١.

خصمك، ولاعيشة في الحياة أكثر من ذلك[١].

كان الشيخ ـ المترجَم له ـ من أكابر المحقّقين الأعلام وأعاظم علماء الإسلام، كشّافاً لمعضلات الدقائق بذهنه الثاقب، وفتّاحاً لمقفلات الحقائق بفهمه الثاقب، حسن التقرير والإنشاء، جيِّد التحرير والإملاء، جميل الأخلاق والشيم، حميد الآداب والحكم، في عليا درجةٍ من الزهد والورع والتقوى والدين، وسميا مرتبةٍ من مراتب الفقهاء والمجتهدين، رفيع القدر بين طبقات أهل الفضل، مرموق المكانة في عيون كبار أصحابه، محترم الجانب من قبل أعاظم سائر المذاهب الإسلامية، وينوَّه عنه في مجالسهم ومحافلهم بكلِّ إجلال، ويلقّب بألقاب التفخيم: كالعلّامة، والإمام، والشيخ، والبحر، إلى غير ذلك من ألفاظ الإعجاب والتقدير الّتي تنمّ عن علوّ منزلته العلمية، كما صرَّحت بذلك كتب الأوائل والأواخر، وجميع هؤلاء الأفاضل الأماثل اتّفقوا بأنّ ابن الصبّاغ كان من أكابر علماء السنّة، وأعاظم محدِّثيهم الأعلام[٢].

فهذه نسبته ونسبه، وفضله وحسبه، وعلمه وأدبه، فالأحسن والأحقّ والأولى أن أُقرّرها لك بهذا التقرير: لم يكتحل حدقة الزمان له بمثلٍ ولا نظير، ولما تصل أجنحة الإمكان إلى ساحة بيان فضله الغزير، كيف ولم يدانه في الفضائل سابق عليه ولا لاحق، ولم يثنّ إلى زماننا هذا ثناءه الفاخر الفائق، وإن كان قد ثنّى ما أثنى علىٰ غيره من كلِّ لقبٍ جميلٍ رائق، وعلمٍ جليلٍ لائق. إذن فالأولى لنا التجاوز عن مراحل نعت كماله، والاعتراف بالعجز عن التعرّض لتوصيف أمثاله، ويخطر ببالي أن لا أصفه، إذْ لا تسع مقدّمتي هذه علومه وفضائله وتصانيفه ومحامده، وله أكثر من خمسين كتاباً.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٤ / ٢٥٢.

(٢) راجع: جواهر العقدين للسمهودي الشافعي، ونزهة المجالس للصفوري الشافعي، وكشف الظنون لملّا كاتب چلبي، وإسعاف الراغبين للصبّان، وذخيرة المآل للعجيلي الشافعي.

شيوخه:

نشأ وترعرع في مكّة المكرّمة، حيث بانت علىٰ محيّاه طلائع الفطنة والذكاء، وصفاء الذهن والقريحة منذ نعومة أظفاره، فقد كان ﷺ عالي الهمّة، مجِدّاً مثابراً علىٰ مواصلة الدرس والتحصيل، فأصبح مضرب المثل لعصره في إحراز فضيلتي الذكاء والجدِّ في مواصلة الدراسة، حتّى أُشير إليه بالبنان من بين أُولي الفضل والعلم بالتفوّق والتقدُّم.

حفظ القرآن الكريم، والرسالة في الفقه، وألفية ابن مالك، ودرس العلوم العربية، وأُصول الفقه والحديث، وسداسيات الرازي، وعلم الخطّ، وغير ذلك من العلوم والفنون الإسلامية.

وبعد انتهائه من المقدّمات التمهيدية حضر علىٰ علماء عصره، أمثال:

١ ـ العلّامة الشريف عبد الرحمن الفاسي.

٢ ـ الفاضل عبد الوهّاب بن العفيف اليافعي.

٣ ـ جمال الدين بن ظهيرة، الراوي عن شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن عليّ بن أبي الحسن الزمرّدي المعروف بابن الصائغ، المتوفّى مسموماً سنة (٧٧٦هـ).

٤ ـ العلّامة أبي السعود.

٥ ـ العلّامة سعد النووي.

٦ ـ العلّامة عليّ بن محمّد بن أبي بكر الشيبي

٧ ـ العلّامة محمّد بن سليمان بن أبي بكر البكري.

٨ ـ العلّامة الجَلال عبد الواحد المرشدي.

٩ ـ العلّامة الزين المراغي.